المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952-Electronic ISSN 2790-1254
العدد 10 لسنة 2023
No.10 August 2023

عوامل ضعف وانهيار الدولة العثمانية

م. د. إيمان عليوي سلومي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية/ قسم التاريخ

ملخص

كان ظهور الدولة العثمانية واحتلالها مساحة واسعة من اراضي قارات ثلاث (اسيا ، افريقيا ، اوربا) مثيراً للجدل لفترات طويلة، غير أن عملية انهيارها ونهايتها كانت الأكثر جدلاً بين اوساط الدارسين والمراقبين للأحداث آنذاك واعطوا مبررات كثيرة كذلك السقوط منها عوامل من داخل الدولة نفسها واخرى خارجية كانت بفعل الدول الغربية والاقليمية العظمى في ذلك الوقت. وفي هذا البحث الموجز عن عوامل سقوط الدولة العثمانية وضعفها، بعض العوامل المهمة والرئيسة التي ساهمت في انهاء الخلافة العثمانية، ولربما قد اكون قد اطلت في جوانب معينة واختصرت في جوانب أخرى، الا ان الموضوع ليس من السهولة جمعها في بحث صغير واحد، فإن كل عامل من عوامل الضعف والانهيار بحاجة إلى دراسة قد تتجاوز المائة صفحة واخيراً اتمنى ان اكون قد وفقت في عرض بعض الجوانب ، فإن الكمال لله واحده.

الكلمات المفتاحية: عوامل ضعف، انهيار، الدولة العثمانية.

Factors Of Weakness And Collapse Of The Ottoman Empire

Dr. Eman Aliwi Saloumi
Al-Mustansiriya University / College of Basic Education / Department of History

Abstract

The emergence of the Ottoman Empire and its occupation of a large area of the lands of three continents (Asia, Africa, and Europe) was controversial for long periods, but the process of its collapse and its end was the most controversial among scholars and observers of the events at the time, and they gave many justifications as well as the fall, including factors from within the state itself and others external. It was the action of the great Western and regional countries at that time. In this brief research on the factors of the fall of the Ottoman Empire and its weakness, there are some important and major factors that contributed to the end of the Ottoman Caliphate. One of the factors of weakness and collapse needs a study that may exceed a hundred pages. Finally, I hope that I have succeeded in presenting some aspects, for God's perfection is one.

Keywords: factors of weakness, collapse, the Ottoman Empire.

اولاً : مقدمة تأريخية عن الدولة العثمانية:

استمدت الدولة العثمانية تسميتها من عثمان [1] ، مؤسس حكم السلالة التي ظلت تحكم امبراطورية واسعة عمرت أكثر من ستة قرون وجاءت نهايتها في تشرين الأول ١٩٢٣ حيث اعلنت تركيا النظام الجمهوري.

لقد وصلت الدولة العثمانية اوج عظمتها خلال القرن السادس عشر، حيث احتوت اجزاء واسعة من اوربا الشرقية (البانيا ،بلغاريا، يوغسلافيا، رومانيا واقساماً من هنغاريا وروسيا) اضافة إلى جزر البحر المتوسط والقوقاز والعراق وسوريا وفلسطين ومصر ومن شمال افريقيا : ليبيا ، تونس ، الجزائر

(1)عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، الجزء الاول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ٣٤.

واستولت على الحجاز واليمن واجزاء من منطقة الخليج العربي، وسيطرت كلياً على البحرين الأسود والاحمر.

لقد مرت الدولة العثمانية بادوار يمكن تحديدها بالتالي [1] :

1- مرحلة النشوء والارتقاء ١٣٠٠ - ١٥٦٦ .
2- مرحلة التوقف والانهيار 1566- 1807.
3- مرحلة الانحلال والتدخل الأوربي ١٨٠٧-١٩٠٩.
4- مرحلة السقوط ١٩٠٩-١٩٢٢.

وبينما كانت الدولة العثمانية منصرفة إلى الدفاع عن كيانها [2] ، بدأ التمدن الحديث في أوربا . وظلت بعيدة جداً عن التمدن (التحديث) لسببين :

اولهما: انها كانت تعتبر التمدن وما تلاه من تجديد عمل الاعداء (الاعداء في السياسة والدين) فتجنبته.

ثانيهما: انها خضعت لنفوذ الغرور استناداً لما بلته من مجد وسلطان فظلت حتى بعد ان وصلت إلى الحضيض تتوهم انها ارفع من اوربا مهد التمدن الحديث ، اضافة إلى انصرافها كل الانصراف إلى الدفاع عن حوزتها حيال الحروب الصليبية التي اعلنتها اور با ضدها اضافة إلى انصرافها لقمع الفتن التي قام بها الأنكشارية والثورات الداخلية [3] .

كما اسهمت الدولة الصفوية في اضعاف الدولة العثمانية نتيجة الحروب التي شنتها عليها، قام الاوربيون بتزويد تلك الدولة بالأسلحة الحديثة خاصة بعد انتصار العثمانيين على الفرس في معركة " جالديران " كان الأوربيون يهدفون إلى اشغال الدولة العثمانية للحد من هجماتها داخل اوربا بمساعدتهم الفرس بالأسلحة [4].

كما حارب العثمانيون المماليك في مصر وبلاد الشام فقد جهز لهم السلطان سليم الأول جيشاً وانتصر عليهم في معركة " مرج دابق " عام ١٥١٦ وفرض الجزية عليهم [5] .

كما ان الدولة العثمانية بدأت منذ أواخر القرن السابع عشر تواجه مشاكل عديدة في بنائها الأداري والاقتصادي والعسكري، وبدأت تواجه هزائم عسكرية فقد اضطرت إلى التوقيع على معاهدات مهينة امام الدول الأوربية: منها "معاهدة كارلوفتز" "معاهدة بساروفتزفي" ٢١ تموز ١٧١٧ التي وقعتها مع النمسا وفقدت بواسطتها جزء مهم من البلقان ومعاهدة كوجك كينارجي في ٢١ تموز ١٧٧٤ التي جاءت بعد هزيمتها مع روسيا خلال الحرب (١٧٦٨ - ١٧٧٤) ومنحت الروس الحق في الدفاع عن ولايات (جورجيا، بسارابيا، ولاكيا وملدافيا) وحرية الملاحة في الدانوب والبحر الاسود وفتح قنصلية روسية في اسطنبول واعطت لروسيا ايضاً حق حماية المسيحيين الارثوذكس في الدولة العثمانية. وكانت معاهدة

(1)صالح العابد، موجز التاريخ العثماني، محاضرات القاها الدكتور على طلبة المرحلة الثالثة في كلية الآداب، جامعة بغداد، د.ت، ص ١.
(2) د. عن حروب الدولة العثمانية ، ينظر : كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير بعلبكي، ط ٦ ، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤٢٧.
(3) صلاح احمد الهريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٨ ، ص 287- 290.
(4) عباس اسماعيل الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين) ، ط ١ ، لبنان، ١٩٩٩، ص ٩٤.
(5)لمزيد من التفاصيل عن اسباب انهيار الدولة المملوكية ، ينظر: علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط ١ ، لبنان، 2005 ، ص ٢٣٣.

كوجك كينارجي نقطة تحول في تاريخ العلاقات العثمانية الروسية حيث انها سمحت لروسيا في التدخل بشؤون الدولة العثمانية [1].

اضافة إلى ضعفها في مواجهة الغزو الفرنسي لمصر وفلسطين وسوريا (١٨٠١-١٧٩٨)، وفساد الى وفساد الأجهزة الحكومية وتدهور النظام الاقتصادي.

ان اسباب ضعف الدولة العثمانية عديدة منها على سبيل المثال:

1- الابتعاد عن مظاهر التطور والتقدم العلمي، وربما كان مرد ذلك مراعاة ميول الشعب الذي كان يجهل معنى التطور ويعتبر كل تغيير او تبديل منافياً للشرع الاسلامي " وهذا الامر ينطبق على رجال الدين الذين كانوا يعتبرون الاصلاح والتغيير منافياً للشرع الاسلامي، ولكن كان في حقيقة الأمر كان في الضد مع مصالحهم التي يرغبون بالحفاظ عليها ".
2- اعتمادها على القوة العسكرية وحدها دون ان تعتمد على عملية الصهر والبلورة الفكرية والاجتماعية للأمم والشعوب والاجناس التي كانت تحت سيطرتها، فلو اعتمدت على الفكر الاسلامي الذي له القدرة على تشكيل وحدة الامة من خلال وحدة الفكر لأمكنها من ادامة سيطرتها وتأثيرها على الأمم المغلوبة، فقد غلب على مزاجهم العسكري الذي عاش بين معركتين احدهما الهجوم والتوسع والاخرى الدفاع والتراجع والذي رافقهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ .
3- ان اخذ الدولة العثمانية للنظام الاقطاعي منذ وقت مبكر جداً ، والذي كان الهدف منه توفير اسباب العيش لفئات مختلفة من الجند بدلا من قيام الدولة بالصرف عليهم باعتباره قوة ثابتة ادى إلى استحواذ الجيش على الاراضي الخصبة على حساب اصحابها مما ولد حالة من التذمر الدائم [2] .

4-ضعف الولاة والقادة العسكريين والسلاطين فلقد تركوا امور البلاد لأشخاص لأتهمهم سوى مصالحهم الشخصية الامر الذي ادى إلى ظهور حركات انفصالية عديدة داخل الدولة العثمانية.

5-الصراع بين الانكشارية (التي كانت تتمتع بتأييد المؤسسة الدينية) والسلطة السياسية فقد بدأ الصراع للمرة الأولى في عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) حين ثار الانكشارية على الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فرماني محمد باشا فقتلوه ونصبوا ابن السلطان كركود نائباً عن ابيه المتوفى واستمر الصراع الداخلي أكثر من ثلاثة قرون (١٥١٢-١٨٣٦) واستمر طيلة حكم ثلاثة وعشرين سلطاناً عثمانياً من بايزيد الثاني حتى محمود خان الثاني [3].

لقد شهدت الدولة العثمانية منذ بدايات القرن الثامن عشر بشكل خاص مع السلطان احمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) الذي بدأ يفتح بعض النوافذ باتجاه أوربا، بعد ان لمست الأدارة العثمانية ضعف مؤسستها العسكرية وتفوق الاوربيين في هذا المجال [4]. كما رافقتها اصلاحات في مؤسساتها الأدارية والسياسية

(1) فبالإضافة إلى بنود المعاهدة المعلنة فقد اضيف اليها بندين سريين مثلا المحنة الحقيقية للدولة العثمانية امام القوة الروسية الصاعدة، تمثلا اولاً بأن تدفع الدولة العثمانية إلى روسيا مبلغ خمسة عشر الف كيسة بصفة غرامة حربية على ثلاثة اقساط متساوية (اول كانون الثاني سنة ، 1775، وسنة ١٧٧٦، وسنة ١٧٧٧) وثانياً ان تقدم الدولة العثمانية إلى روسيا كافة المصاريف التي ستكلف روسيا جراء انسحابها من المدن التي احتلتها في جزر الروم وسحب اسطولها منها، لمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدة ينظر: وديع ابو زيدون تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط ١ ، الأردن ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٩٤-٢٠٤.
(2) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : فاضل بيبات الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ص ٥٨- ١٢٢.
(3) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣، ص ص ١٣-١٤ .
(4) محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ترجمة خالد زيادة، منشورات جروس - برس، د.ت، ص ٨.

والاقتصادية والاجتماعية[1] ، وقد بدأ بعض السلاطين ورجال السياسة والمثقفين المتنورين المتأثرين بالحضارة الغربية، وفي مقدمتهم مصطفى رشيد باشا. ونتج عن ذلك حركة الأصلاح الجيش ونظم الحكم والادارة العثمانية والتي بدأت منذ ١٨٣٩ واصبحت تعرف بأسم التنظيمات التي امتدت إلى سنة ١٩٠٨ عندما اعيد العمل مرة ثانية بدستور ١٨٧٦ [2].

غير ان الاصلاحات العثمانية واجهت مشاكل عديدة منها:

اولاً: ضعف الجهاز الاداري وعدم تعاونه مع الحكومة المركزية في تحقيق الاصلاح فمعظم الموظفين غير اكفاء لمثل هذا العمل.

ثانياً: معارضة رجال الدين والفئات الرجعية للإصلاحات بوصفها مخالفة للشرع الإسلامي ومقلدة للأوربيين.

وهناك عامل اخر لعب دوراً كبيراً في اعاقة نجاح حركات الاصلاح وهو التدخل الأوربي المستمر في شؤون الدولة العثمانية، الأمر الذي اثر على الأوضاع الداخلية للدولة واخذت الفترة الواقعة ما بين ١٨٣٩-١٨٧٦ بفترة حكم السفراء (ويقصدون سفراء الدول الأوربية) وفي مقدمتهم ستراتفورد كاننج[3] السفير البريطاني (الذي كان يعرف آنذاك بالسلطان الثاني غير المتوج) . وقد ازداد نفوذ بريطانيا وفرنسا في الدولة العثمانية بعد حرب القرم وخاصة عندما ازدادت الأزمة المالية العثمانية، الأمر الذي دفع الدولة إلى طلب القروض من بريطانيا وفرنسا، وقد وصلت الديوان العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز إلى مائتي مليون بادن مما اضطر السلطان إلى الأذعان إلى مطالب الأوربيين بضرورة الاصلاح في مختلفة مؤسسات الدولة ، فتم تشكيل لجنة دولية للأشراف على الديون العثمانية وواصل السلطان الاستمرار بمنهاجه الأصلاحي، فبعد اصدار قانون الاراضي 1858 وقانون الطابو 1859 في عهد السلطان عبد المجيد، واصدر السلطان عبد العزيز قانون الولايات ١٨٦٤ وتطورت قوانين البلديات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فخطت الدولة خطوات تحديث مؤسساتها الادارية المختلفة لمواجهة متطلبات العصر، ولاسيما بعد ان اثبتت النظم القديمة انها غير قادرة على مسايرة العصر . وانجزت الدولة كذلك إصلاحات قانونية وتعليمية واقتصادية، فأنشأت سنة ١٨٤٧ محاكم مدينة وجنائية من المسلمين والمسيحيين وعينت سنة ١٨٤٥ لجنة لتطوير النظام التعليمي، الا انها قدمت تقديرها لسنة ١٨٤٦ الذي عبر عن الوضع السيء للتعليم في ولايات الدولة، وعلى الرغم من ذلك فقد حدث تطور بطيء في انشاء

(1)البر اورطايلي، الخلافة العثمانية التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد القادر عبدلي ، ط ١ ، بيروت، ٢٠٠٧، ص ص ٢٢٩-٢٣٢.

(2)ابراهيم خليل احمد وخليل على مراد، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الموصل ، ١٩٩٢، ص ٢٢٠.

(3)ستراتفورد كاننج (١٧٨٦ – 1880) سياسي بريطاني اكمل تعليمه في كلية اتون ومن ثم في كلية الملك في كامبردج عمل سفيراً لبلاده في الدولة العثمانية خلال السنوات (١٨١٠ - 1858) وتولى ذلك المنصب عشرون مرة خلال المدة المذكورة وعمل وزيراً مفوضاً لبلاده في سويسرا (١٨١٤-١٨١٨) كما تولى العمل نفسه لبلاده لدى الولايات المتحدة الأمريكية في المدة (١٨٢٠-١٨٢٣) وكان من المقربين للسلطان العثماني عبد المجيد الأول، وشجع حركة الاصلاح في الدولة العثمانية (التنظيمات). ودعم موقف الحكومة العلمانية ضد التدخل الروسي في القرم اراضيها الا انه لم ينجح في تجنب حوث حرب القوم بين الدولة العثمانية وروسيا.

للمزيد من التفاصيل انظر: Palmer. A.W., ADictionary of modern History 1789-1945, Great Britain, 1962, P.P.312-313.

المدارس وتطورت الصحافة العثمانية في عصر التنظيمات بعد ان تم وضع أسسها الأولى في عهد السلطان محمود الثاني[1]، واخذ الادباء والمثقفون والمفكرون ينتقدون الوضع القائم، مما دفع الدولة ان تصدر قوانين في عامي ١٨٦٥-١٨٦٧ تقيد من حرية السلطان الصحافة وتغلق عدداً كبيراً من الصحف[2].

وعلى اثر تلك القوانين لجأ المثقفون الأتراك إلى وسيلة اخرى لمقاومة الاستبداد تمثلت بالتنظيم الحزبي، ففي عام ١٨٦٥ نشطت في اسطنبول جمعية اطلق عليها (جمعية تركيا الفتاة) بلغ عدد اعضائها مئتين وخمسة واربعين عضواً. كان ابرز عضو فيها الكاتب الوطني نامق كمال، وتعاطف مع الجمعية اميران عثمانيان اصبحا من السلاطين فيما بعد هما مراد الخامس وعبد الحميد الثاني، وعلى الرغم من ان الجمعية اغلقت سنة ١٨٧٢ الا ان اعضاءها اغلقت استمروا بالعمل لإقامة ملكية دستورية، والذين اسسوا فيما بعد جمعية الاتحاد والترقي[3].

وكان من أسباب تدهور الإمبراطورية العثمانية اندلاع حرب القرم ما بين (١٨٥٣ - ١٨٥٦) ، ففي عام 1853 اول القيصر الروسي نيقولا الأول ان يتفق مع بريطانيا على اقتسام املاك الدولة العثمانية التي وصفها بـ (الرجل المريض) واقترح استيلاء روسيا على اسطنبول مقابل استيلاء بريطانيا على مصر وكريت الا ان بريطانيا رفضت العرض ولاسيما ان سياستها كانت تهدف إلى المحافظة على كيان الدولة العثمانية لتكون حاجزاً امام روسيا في توسعها باتجاه أوربا لخشيتها على مصالحها في الهند من التوسع الروسي اذا ما سيطرت روسيا على الأراضي العثمانية.

وتعد حرب القوم مثالاً واضحاً للصراع الأوربي حول ممتلكات الدولة العثمانية، وقد ازداد نطاق الحرب بعد دخول بريطانيا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية، وانتهت الحرب بعد طلب روسيا الصلح خاصة بعد وفاة القيصر نيقولا الأول في ٢ آذار ١٨٥٦ ، وتولي الكسندر الثاني الذي كان ميالاً إلى البحث عن حل سلمي للحرب. وعقد مؤتمر باريس لاجراء التسوية التي اسفرت عن معاهدة باريس في ٣٠ آذار ١٨٥٦ والتي تضمنت الشروط التالية: التالية:

1- تتعهد روسيا بارجاع مدينة قارص وقلعتها ، وكل المدن والمواقع التي استولت عليها الجيوش الروسية إلى الدولة العثمانية (التي تقع ضمن املاك الدولة العثمانية).
2- اصدار عفو عام وشامل لرعايا الدول الذين شاركوا في الحرب ضد بلدانهم.
3- حرية الملاحة في نهر الدانوب.
4- يعتبر البحر الاسود منطقة حياد لتجارة جميع الدول ، باستثناء الخطر على السفن الحربية[4].

ثانياً : عزل السلطان عبد العزيز 1876:

(1) لمزيد من التفاصيل عن الاصلاحات العثمانية . ينظر : روبيرمانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، الجزء الثاني، ط1، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص 51- 70.

(2) صالح العابد، المصدر السابق ص ص ٤٥ - ٤٦ ؛ ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٢١.

(3) الاتحاد والترقي: هو اول حزب سياسي في الدولة العثمانية، كان ظهوره عام ١٨٩٠ وكان سرياً مكوناً من خلايا طلبة الحربية والطبية والعسكرية، كان تأسيسه يهدف إلى معارضة حكم عبد الحميد الثاني والتخلص منه، في عام ١٨٩٧ تم اكتشاف هذا الجهاز ففي عديد من اعضائه وفر بعضهم إلى باريس، وارسل السلطان عبد الحميد مدير الأمن العام الفريق اول (احمد جلال الدين باشا) إلى باريس لاستمالة اعضاء المعارضة من الاتحاديين فنجح في استمالة اكثرهم ومنحهم عبد الحميد مناصب كبيرة في الدولة الا ان المعارضين وعلى رأسهم احمد رضا بك ظلوا على معارضتهم لمزيد من التفاصيل انظر : مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة د. محمد حرب ط٣ ، دار القلم ، دمشق، ١٩٩١، ص ٥٦.

(4) لمزيد من التفاصيل عن حرب القرم ينظر : وديع ابو زيدون المصدر السابق، ص ص ٢٥٥ - ٢٦٠ ؛ شكيب ،ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي السويدان، ط١، دمشق، ٢٠٠١، ص ص ٢٩٥-٢٩٦

ادى اتساع ازمات البلاد السياسية والعسكرية والمالية، وتعثر الإصلاحات إلى زيادة التذمر بين بعض السياسيين والمصلحين والمثقفين وفي مقدمة هؤلاء (مدحت باشا وحسين عوني باشا ورشدي باشا) إلى جانب عدد آخر من السياسيين وكان للدول الأوربية، ولاسيما بريطانيا وفرنسا، دور بارز في دعم هؤلاء السياسيين[1].

حصل هؤلاء الساسة على فتوى من شيخ الإسلام تجيز عزل السلطان عبد العزيز نظراً لاسرافه واغتصابه حقوق الشعب ومخالفة احكام الشرع، فتم الانقلاب في ليلة ٢٩ - ٣٠ آيار ١٨٧٦ ، وبعد ثلاثة ايام من عزله اعلن عن انتحاره في 3 حزيران وقد كان للانقلابيين والدول الأوربية دوراً في مقتله[2].

وتم تعيين ابن عمه عبد المجيد، الذي تلقب بمراد الخامس وقد عزل ثلاثة اشهر من توليه الحكم بسبب سوء حالته الصحية ، وتم اختيار الأمير عبد الحميد وهو(اخو مراد الخامس) من قبل مدحت باشا ورفاقه، بعد ان اشترطوا عليه ان يسير وفقاً لمناهجهم الاصلاحي وفي مقدمته اعلان الدستور، فوافق على شروطهم، وتلقب بالسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، وكان عمره انذاك ثلاثاً وثلاثين سنة[3].

ثالثا: عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ -1909):

عند تولي عبد الحميد الحكم اعلن عن وضع دستور للبلاد وانشأ مجلس نيابي على نمط المجلسين النيابيين في كل من فرنسا وبلجيكا. وقد نص الدستور الذي اقترحته مدحت باشا على ان :

(الاسلام هو دين الدولة مع ضمان الحرية في الفكر والمعتقد الجميع المواطنين، ضمن اطار القانون والنظام ، كما ضمن حرية الأديان الاخرى).

وعلى الرغم من ضرورات الاصلاح، الا ان الدستور قد تم اعلانه تحت ضغط الدول الأوربية لكن دستور عام ١٨٧٦لم يوضع موضع التنفيذ الا لفترة قصيرة، فعلق السلطان عبد الحميد العمل به وحل مجلس (المبعوثان)[4]، اما مدحت باشا فقد تم عزله ومن ثم نفيه[5]، متذرعاً باندلاع الحرب مع روسيا فقد اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية بحجة مساندة رعايا السلطان المتمردين الثائرين في شبه جزيرة البلقان، ولكن الهدف الحقيقي لم يكن تحقيق مطالب الثائرين بقدر ما كان تحقيق هدف الروس في احتلال اسطنبول ومن ثم الوصول إلى البحر المتوسط (انتهت الحرب في أوائل كانون الثاني 1878)[6]. بعد ان طلب العثمانيون وقف الحرب وعلى اثر ذلك وقعت هدنة بين الروس والعثمانيين في ٣١ كانون

(1) صالح العابد المصدر السابق، ص ص ٤٦-٤٧.

(2) وديع ابو زيد المصدر السابق، ص ٢٦٢-٢٦٥

(3) فريد جحا، الحياة الفكرية في حلب (في القرن التاسع عشر، ط1، دمشق ١٩٨٨، ص ١٧.

(4) فيليب حتي ، خمسة الآف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ط1، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥، ص ص ٢٦-٢٧.

(5) مدحت باشا : ولد مدحت باشا عام ١٨٢٢ وتنقل في مناصب عديدة في الدولة العربي العثمانية فشغل منصب الوالي في عدد من المناطق مثل الشام وبغداد، قام بعدد من الاصلاحات في العراق منها اقرار النظام واصلاحات اخرى، كما حاول تأكيد سيطرة العثمانيين على الخليج العربي بارسال حملة الاحساء، لكنه اصطدم بموقف بريطانيا فضعف مركزه في العراق خاصة بعد موت صديقه الصدر الأعظم عالي باشا فعزل سنة ١٨٧٢ ووصل إلى منصب الصدر الأعظم ، واخيراً اتهم بالتآمر في مقتل السلطان عبد العزيز فنفي إلى الطائف، ومات في حادث عنف سنة ١٨٧٤ للمزيد ينظر : ستيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق ترجمة جعفر الخياط ، ط ٤ ، مطبعة المعارف، ،بغداد، ١٩٦٨، ص ٣٥٨ .

(6) سليمان البستاني، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق نقولا زيادة، ط1، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ص ٣٠-٣١.

الثاني ١٨٦٨ فرضت روسيا بموجبها على الدولة العثمانية معاهدة سان ستيفانو في ١٥ / شباط / ١٨٧٨ وكانت بنودها مجحفة بحق الدولة العثمانية، الأمر الذي ادى إلى التدخل الدولي ضد تلك المعاهدة ، وكانت أهم بنود المعاهدة هي:

1- تعيين حدود للجبل الاسود لانهاء.
2- تستقل الامارة (الجبل الاسود) وتضاف اليها اراضي جديدة.
3- تستقل بلغاريا استقلالاً ذاتيا اداريا ، وتدفع مبلغاً محدداً إلى الدولة العثمانية.
4- تحصل دولة رومانيا على استقلالها التام.
5- يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن والنصارى والاكراد والشركس.
6- تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها ٢,٥ مليار ليرة ذهبية ويمكن لروسيا ان تتسلم اراضي مقابل هذا المبلغ.
7- تبقى المضائق (البسفور والدردنيل) مفتوحة للسفن الروسية في السلم والحرب.
8- يمكن للمسلمين في بلغاريا ان يهاجروا إلى حيث يريدون من اجزاء الدولة العثمانية[1].

ادى قلق بريطانيا من الخطر الروسي ان تطلب بريطانيا من روسيا اعادة النظر في بنود المعاهدة، فاضطرت روسيا إلى الموافقة على عقد مؤتمر برلين في 13 حزيران ١٨٧٨ . ويعد مؤتمر برلين اكبر تجمع دولي من نوعه بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ . واصدر المؤتمر مجموعة من القرارات ادت إلى ان تفقد الدولة العثمانية معظم البلقان، اما فيما يتعلق بالبلاد العربية فقد اكتشف فرنسا ان انكلترا قد اقتنصت سراً قبرص من الدولة العثمانية، ولكي تهدئ انكلترا من ثورة فرنسا وجهتها إلى تونس ولما كانت ايطاليا تطمع في تونس الطالبا وجهتها إلى طرابلس[2].

هذا ما يخص سياسة السلطان الخارجية اما سياسته الداخلية فإن السلطان عبد الحميد اعتمد على جهاز من المخابرات والجواسيس، استخدمه للتخلص من اعدائه ومن خلاله عرف كل المؤامرات التي تحاك ضده وعن طريقه كان السلطان يعرف ما يدور في العاصمة اسطنبول، وفي الاقاليم العثمانية، إلى جانب تتبعه نشاط السفارات الاجنبية فقد اشتد نفوذ المحافل الماسونية التي كانت تحميها السفارات الاجنبية[3] إلى جانب اتساع خطر الغزو الأوربي الفكري، وهجمة الغرب العسكرية على الاراضي العثمانية، وفساد الجهاز الاداري والمالي في الدولة، وقد بلغت الديون العثمانية اربعة عشر مليوناً من الليرات الذهبية.

وكانت فكرة الجامعة الاسلامية من الوسائل التي لجأ اليها السلطان عبد الحميد الثاني من اجل الاستمرار في حكمه وفكرتها قائمة على جمع المسلمين تحت حكم الامبراطورية العثمانية، وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها مواجهة الغرب ، وكانت لدى السلطان اسباب عديدة من وراء ذلك منها :

1- توحيد موقفه ضد التيارات السياسية والفكرية ذات الاتجاه الغربي.
2- تعزيز موقفه الخارجي وكسب ولاء المسلمين في ارجاء متعددة من المعمورة، وقد اعتمد على عدد من علماء المسلمين لترويج هذه الفكرة منهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم كثيرون، وقد انشاء لهذا الغرض مدرسة خاصة لتخريج الدعاة ونشرهم في مختلفة انحاء العالم الاسلامي[4]

(1) لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ينظر علي محمد محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ص ٤٤٦-٤٤٧.

(2)عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة د.ت ص ص ٢٤١-٢٤٢.

(3) محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد بين الانصاف والجحود ،ط ١ ، دمشق ٢٠٠٤، ص ص ١٤١-١٤٤.

(4)عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

في الوقت نفسه كانت المانيا قد بدأت تحل محل بريطانيا وفرنسا وروسيا لدى الباب العالي واصبحت القوة النافذة في الدولة العثمانية ، فقد قام الامبراطور الالماني بزيارة الدولة العثمانية مرتين عام ١٨٨٩ - ١٨٩٨ حصل في الاخيرة على بعض الامتيازات كان من اهمها امتياز انشاء خط حديدي يعرف بخط بغداد - برلين ، وارسال بعثات عسكرية عثمانية إلى المانيا للتدرب، وكانت الغاية من الخط ربط الدولة العثمانية وولاياتها ببرلين.

وبعد فترة وصل الخط إلى طرابلس في لبنان ثم القاهرة، كانت بريطانيا تنظر إلى المشروع بتخوف وحذر باعتباره مشروعاً يهدد مصالحها ويزعزع مكانتها في المنطقة الممتدة من الشرق الاوسط حتى مشارف الخليج العربي والهند، واصبح المشروع جوهر القضية أو المسألة الشرقية.

وفي عام ١٩٠٨ قامت ثورة داخلية قادتها جمعية الاتحاد والترقي وكان هدف الجمعية وضع دستور للبلاد على نمط الدساتير الغربية، وتوحيد الشعوب المختلفة في الامبراطورية وصهرها في بوتقة اجتماعية ديمقراطية وطنية ، فأظهر عبد الحميد بادئ الأمر رغبة في التعاون مع الزعماء الثائرين، فأعلن اعادة الدستور الذي كان قد الغاه واطلاق سراح السجناء، ولكن السلطان عبد الحميد حاول الالتفاف على الثائرين من خلال الفتنة الارتجاعية الا ان زعماء الاتحاد والترقي كانوا له بالمرصاد، فأعتقل في نيسان ١٩٠٩ ، ونصبوا مكانه اخاه الضعيف محمد رشاد الخامس (١٩٠٩ - ١٩١٨) وبذلك انتقلت السلطة الحقيقية في البلاد إلى ايدي جماعة الاتحاد والترقي[1]. ولم يحدث أي تغيير ايجابي في عهد الاتحاديين فقد واجهت الدولة العثمانية كوارث عديدة في الداخل والخارج، فقامت الحروب البلقانية ١٩١١ - ١٩١٢ ، واحتلال الدول الغربية لاجزاء من الامبراطورية العثمانية وخصوصاً في الاجزاء العربية. وبدأ العرب بالتحرك نحو التحرر من السيطرة العثمانية وتم عقد المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣ ، اضافة إلى حدوث اتصالات بين بريطانيا والشريف حسين والذي اراد ضمان موقف بريطانيا منه اذا ما قام بثورة ضد الدولة العثمانية[2].

وفي عام ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى ، ودخلت الدولة العثمانية الحرب في ٤ تشرين الثاني ١٩١٤ إلى جانب دول المحور وذلك تنفيذاً لاتفاقية سرية مع المانيا، وقد جاء دخول الدولة العثمانية بعد أن ضربت قطعاتها التي يقودها انور باشا الموانئ الروسية في البحر الاسود في ٢٩ / ت1/ ١٩١٤ ، لتعلن روسيا على اثرها الحرب عليها في ٤/ ت2/ 1914 ، ومن ثم قيام بريطانيا وفرنسا باعلان حرب مشابهة بعد يوم واحد من تلك الاحداث[3]. هناك اسباب عديدة دفعت الدولة العثمانية إلى الدخول في الحرب منها :

1- تعزيز ممارسة سياسة التتريك في جميع انحاء الدولة العثمانية، ولاسيما في الاقطار التي وقعت تحت السيطرة الأوربية.
2- تحرير المناطق التي يقطنها الاتراك في روسيا مثل القفقاس وتركستان.
3- استعادة الولايات العثمانية التي خسرتها مثل مصر وقبرص وليبيا وتونس والجزائر.
4- اعادة تقوية مبدأ سلطة الخلافة على جميع العالم الاسلامي.

(1) فيليب حتي، المصدر السابق ، ص ص ٢٨-٢٩.

(2)سرريدر بولارد ، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى ١٩٥٢، ترجمة حسن احمد السلمان، مطبعة الرابطة ، بغداد، ١٩٥٦ ، ص ٨١.

(3)احمد عزت الاعظمي، القضية العربية (اسبابها مقدماتها تطوراتها نتائجها)، الجزء الخامس، ط١، ١٩٣١ ، ص ص 35-40 ؛ روبير مانتران، المصدر السابق ص ٣٠٨.

الخاتمة

في نهاية البحث يجب توضح بعض النقاط المهمة التي ممكن أن نستنتجها من الموضوع هي:

1- ان الضعف بدأ في الدولة العثمانية عندما كثر الأعداء المحيطون بها من كل جانب، وذلك بسبب كبر مساحتها واتساع سلطاتها .
2- ضعف بعض السلاطين وانشغالهم عن أمور الدولة، اعطاء صلاحيات توضيح واسعة لبعض الاشخاص.
3- تدخل الدول الأوربية ومحاولة كل واحدة منها في الحصول على جزء من ممتلكات الدولة العثمانية.
4- استمرار تدخل الدول الأوربية حتى أدخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، على الرغم من أنها كانت منهكة فكان دخولها الحرب في نفس الوقت نهاية تلك الدولة، التي حكمت لفترة تزيد عن خمسة قرون ونصف. ضمت اكبر مساحة من الأراضي في العالم.

المصادر

أولا: الكتب العربية والمعربة:

1- ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد، ايران وتركيا في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الموصل، ١٩٩٢.
2- احمد عزت الاعظمي، القضية العربية (اسبابها مقدماتها تطوراتها نتائجها)، الجزء الخامس، ط١، ١٩٣١.
3- البر اورطايلي، الخلافة العثمانية التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد القادر عبدلي ، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧.
4- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، الجزء الثاني، ط 1 ، القاهر، ١٩٩٣.
5- ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق، ترجمة جعفر الخياط، ط ٤ ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨.
6- سر ريدر بولارد ، بريطانيا ولاشرق الأوسط من أقدم العصور حتى ١٩٥٢، ترجمة حسن احمد السلمان مطبعة الرابطة ، بغداد، 1956.
7- سليمان البستاني، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق نقولا زيادة، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٨.
8- شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي السويدان، ط ١ ، دمشق، ٢٠٠١.
9- صالح العابد ، موجز التاريخ العثماني محاضرات القاها الدكتور على طلبة المرحلة الثالثة قسم التاريخ ، كلية الآداب، جامعة بغداد، د.ت.
10- صلاح احمد الهريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الانسانية والأجتماعية، ٢٠٠٨.
11- عباس اسماعيل الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين) ، ط ١ ، لبنان، ١٩٩٩.
12- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت.
13- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط ١ ، لبنان، 2005.
14- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
15- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧.
16- فريد جحا، الحياة الفكرية في حلب (في القرن التاسع عشر) ، ط1، دمشق، ١٩٨٨.
17- فيليب حتي، خمسة الآف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ط1، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥.

18- قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣.
19- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ترجمة نبيه امين فارس، منير بلعبكي ، ط٦ ، بيروت، ١٩٧٤.
20- مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة د. محمد حرب، ط٣، دار القلم دمشق، ١٩٩١.
21- محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد بين الانصاف والجحود، ط1 ، دمشق ، ٢٠٠٤.
22- محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ترجمة خالد زيادة منشورات جروس - برس ، د.ت.
23- وديع ابو زيدون ، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، الأردن، ٢٠٠٣.
ثانياً: الكتب الاجنبية:
24- Palmer, A.W, A Dictionary of modern History 1789.1945, Great Britain, 1962.